المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

عروش الفزازنة في تونس: من الاستقرار إلى الانصهار

*عبدالله علي نوح[1]، منى عبداللطيف الهوني[2]

كلية الآداب والعلوم. المرج[1] –الهيئة الليبية للبحث العلمي[2]

الملخص

تسمى التفرعات القبلية والتجمعات السكنية المرتبطة برباط الدم والقربى في تونس بالعروش، والعرش الواحد منها يجمع في الغالب أفراداً من قبيلة أو فخذاً منها، أو مجموعة أفراد بينهم صلات اجتماعية من وشائج النسب الواحد.

وقد شهدت فترات متفاوتة من تاريخ ليبيا هجراتٍ لأفرادٍ وعوائل وقبائل ليبية إلى تونس وغيرها، جراء الحروب والنفي، نتج عن بعضها تكوين جماعات احتفظت بمسمياتها وجذورها وأزيائها ولسانها وعاداتها وثقافاتها.

وبرز المكون الفزاني المهاجر إلى بلاد تونس كما غيره من القبائل والأعراق الليبية، من حيث احتفاظه بهويته وزيه ورسومه الاجتماعية ووشائج روابطه الأصيلة، حتى اشتهر الفزازنة في تونس لدرجة أن حيّاً كاملاً في تونس العاصمة يسمى إلى اليوم(نهج الفزازنة)، بسبب غلبة أهل فزان على المكان وقرارهم به وصبغهم إياه بطابعهم الفزاني، وشكلوا كغيرهم من المهاجرين ما عرف بالعرش الفزاني، وهو تجمع عوائل وقبائل أهل فزان في تونس في تنظيم مجتمعي إداري له مزاياه وصفاته وعاداته وأسلوب حياته ونمط تعاملاته، لدرجة أن الفن الشعبي الفزاني غلب على غيره من فنون الناس، فاشتهر في تونس إلى اليوم فن يسمى الفزاني، وهو نسخة واضحة من المرسكاوي الفزاني.

وهذا البحث وصف للعروش الفزانية وأحوال أهل فزان المعيشية في دار قرارهم تونس، ومظاهر حياتهم ومعاشهم، وقياس مدى تأثيرهم في المجتمع التونسي إدارياً واجتماعياً وثقافياً، بهدف تتبع أطوار تكون العروش القبلية الفزانية، ونمط حياتها، وعلاقتها بالمهاجرين الليبيين وبأهل تونس بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: عروش، الفزازنة ، تونس، الهجرة، الاستقرار

The Fazzana Thrones in Tunisia: From Stability to Integration

*Abdullah Ali Noah [1] and Mona Abdel Latif Al-Huni [2]

Faculty of Arts and Sciences, Al-Marj [1] - Libyan Authority for Scientific Research [2]

ABSTRACT

The Tribal branches and residential groups linked by blood and kinship in Tunisia are called thrones ,a single of (Orowsh) throne among them often brings together individuals from a tribe or a section of it, or a group of individuals who have social ties through the ties of a single lineage.

Different periods of Libya's history witnessed migrations of Libyan individuals, families, and tribes to Tunisia and elsewhere, as a result of wars and exile, some of which led to the formation of groups that retained their names, roots, costumes, language, and culture.

The Fezan element migrating to Tunisia, like other Libyan tribes, is distinguished by its preservation of its identity, social customs, and authentic ties, to the point that Tunisia has an entire neighborhood in Tunis, the capital, known as the (Fezanian Neighborhood).

* مؤلف البحث: عناوين البريد الإلكتروني aa24083@gmail.com – المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل25–26 نوفمبر 2024– جامعة فزان

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

This research is a description of (Orowsh) the thrones of the Fezan tribes and the living conditions of the people of Fezzan in Tunisia, and aspects of their lives, measuring the extent of their influence on Tunisian society administratively, socially, and culturally.

It traces the period of formation of the thrones of the Fezan tribes, their way of life, their relationship with Libyan immigrants and the Tunisian.

Kay words: Al orowsh– Fezan– Tunisia– Migration– settlement

المقدمة

إن ظاهرة الحركية والانزياح الجماعي بين الأماكن والأقطار ظاهرة بشرية تحكمها عدة عوامل، أوكدها الحروب والمجاعات والجدب، وأوسطها الترحال وطبيعة الحياة المتسمة بالتنقل، وأقلها النزعة الخاصة لدى البعض بالتنقل وتغيير مكان القرار.

ووجود عناصر ليبية في القطر التونسي ليس استثناء من ذلك، فالأمر سجية بين الدول المتصاقبة المتجاورة التي تتسم بأن السكان خاصة في مناطق الحدود لا يميز بينهم شيء في السحنة والهيأة والملبس والزي واللهج واللسان، بل وفي العادات والتقاليد المجتمعية المرعية.

وواقع الحال أن هجرات ليبية حدثت نحو تونس في غير زمن، وهجرات تونسية حدثت نحو ليبيا في غير زمن، إذاً فالأمر متبادل محكوم بطواريء ذلك الصقع أو مدلهمات هذا البلد، إما حرباً دافعة ضاغطة، أو مجاعة عاصفة ماحقة، أو صراعات داخلية دامية.

وقد اعتادت تونس الهجرات الليبية منذ القدم، وازدادت مع المد الإسلامي سواء كانت بالقبائل البربرية التي نزحت إليها من ليبيا بعد الفتح الإسلامي أو تلك التي كانت تحت بعد مجيء بني هلال وسُليم كما حدث مع قبيلة هوارة التي نزحت ونزلت في المحرس ما بين قابس وصفاقس، ومثلما حدث في الهجرات اللاحقة في العهد العثماني وبعده.

ولعل الإنصاف يقضي بالقول إن من ميزات تونس أنه لا تكاد تخلو مدينة أو قرية في تونس من عائلات ذات أصول ليبية، كما لا تخلو بعض مدن ليبيا من عناصر ذات أصول تونسية، في ظل أن فكرة الدولة الوطنية بمفهومها الجيبولوتيكي ليست موغلة في القدم، وأنها ترتيبات من دول استعمرت دولاً، أو تفاهمات دولية أنتجت خرائط سياسية ومسميات قطرية، محكومة بعوامل وقتية، وملزومة بحتمية التاريخ التي تقضي بأنها لن تدوم بمفهومها الحيبوليتيكي الآني.

وتوجد كثير من العائلات والقبائل التي تقطن على خط الحدود بين البلدين مثل النوايل والمرازيق، يعيش بعضها في ليبيا والأخر في تونس، بل إن عدداً كبيراً من سكان منطقة الأصابعة في الجبل الغربي هاجروا إلى الأراضي التونسية.٣

والمتتبع لتاريخ العلاقات الاجتماعية بين البلدين لا يجد كبير عناء في اكتشاف أن الكثير الأسماء والمصطلحات الليبية تجذرت في التراث والتاريخ التونسي وفي الحياة اليومية التونسية، فمثلاً تجد اسم الطرابلسي والترهوني والورفلي والغرياني والفرجاني والرياني والغدامسي والمصراتي والزليطني والقماطي والككلي والرقيعي والزواري واليفرني والورشفاني وغيرها من الأسماء التي أصبحت تونسية بالتقادم، بل إن مناطق وأحياء كاملة في تونس ترجع إلى أسماء قبائل ومدن وقرى ليبية مثل منطقة ورفلة نسبة إلى قبيلة ورفلة، وهي تابعة لمنطقة تستور شرق مدينة السلوقية، وكذلك منطقة ترهونة نسبة إلى قبيلة ترهونة الواقعة جنوب مدينة الفحص، وهناك مكان يسمى جبانة المحاميد نسبة إلى قبيلة المحاميد الذين كانوا يدفنون أبناء القبيلة فيها، ومثله وادي الطرابلسية الواقع بين منطقة بو قرنين وحمام الأنف. أيضاً حومة الطرابلسية

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

بمدينة المنستير، ومن الأحياء المعروفة في تونس حي الغدامسية ونهج الفزازنة قرب ساحة باب سويقة بتونس العاصمة اللذين سكنهما الأهالي الذين وفدوا من غدامس وفزان.

وهناك كثير من أسماء القبائل الليبية أصبحت جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي التونسي، فمثلاً تجد اسم الطرابلسي والترهوني والورفلي والغرياني والفرجاني والرياني والغدامسي والمصراتي والزليطني والقماطي والككلي والرقيعي والزواري واليفرني والورشفاني والفزاني وغيرها من الأسماء التي اندمجت في منظومة الأسماء التونسية.

بل ان هنالك مناطق وأحياء كاملة في المدن والقرى التونسية ترجع في جذورها إلى قبائل ومدن وقرى ليبية كمنطقة ورفلة نسبة إلى قبيلة ورفلة التابعة لمعتمدية تستور تبعد 5 كيلومترات شرق السلوقية، ومنطقة ترهونة نسبة إلى قبيلة ترهونة جنوب مدينة الفحص بعشر كيلومترات، وجبانة المحاميد نسبة إلى قبيلة المحاميد الذين كانوا يدفنون أبناء القبيلة فيها. ووادي الطرابلسية الذي يمتد من سفح جبل بو قرنين في اتجاه حمام الأنف، وكذلك حومة الطرابلسية بالمنستير، وهناك منطقة تسمى قمودة بولاية سيدي بوزيد بتونس.

اعتيادية التنقل بين القطرين:

عندما استعمرت فرنسا تونس سنة 1881م، كانت الوحشية والاجتثاث سمة ظاهرة في تعامل الفرنسيين مع أهل تونس، ونجم عن طريقة تعاملهم الغاشمة مع الأهالي قتلاً وتشريداً أن اضطرت جموع كبيرة من أهل تونس إلى الهجرة خارج تونس.

وأكبر هجرة تونسية خارج تونس حدثت نحو القطر الطرابلسي بمسماه زمن بداية الاستعمار الفرنسي لتونس، ففي وثيقة عثمانية مشهورة تقييد للأعداد الغفيرة التي نزحت نحو ولاية طرابلس الغرب من تونس، وتقول الوثيقة إن الخطاب المرسل إلى نظارة الداخلية من ولاية طرابلس الغرب بتاريخ 8 محرم سنة 302 (توافق سنة 1884م) ورد مجلس شورى الدولة عليها بتاريخ 13 جمادي الأولى سنة 302، والمتضمن حسابات ومصروفات معتمدة من دائرة الأعضاء بالمجلس، والمتعلقة بحالات اللجوء والهجرة لآلاف من النسمات التونسية، وفي التقرير المالي جملة المصروفات النقدية على هذه الأعداد من اللاجئين ما بين شهري شباط وتموز(فبراير ويوليو) والبالغة مقدار مائتين واثني عشر ألف وخمسمائة وثمانية وستين قرشاً في مركز الولاية في طرابلس، وقيمة واحد وأربعون ألفاً ومائتان وتسعون ونصف قرشاً في الخمس، وقيمة واحد وعشرون ألفاً وثلاثمائة قرش في زليتن، تم صرفها بشكل يومي من صندوق البلدية، وتم تحرير وتدقيق تلك المدفوعات.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

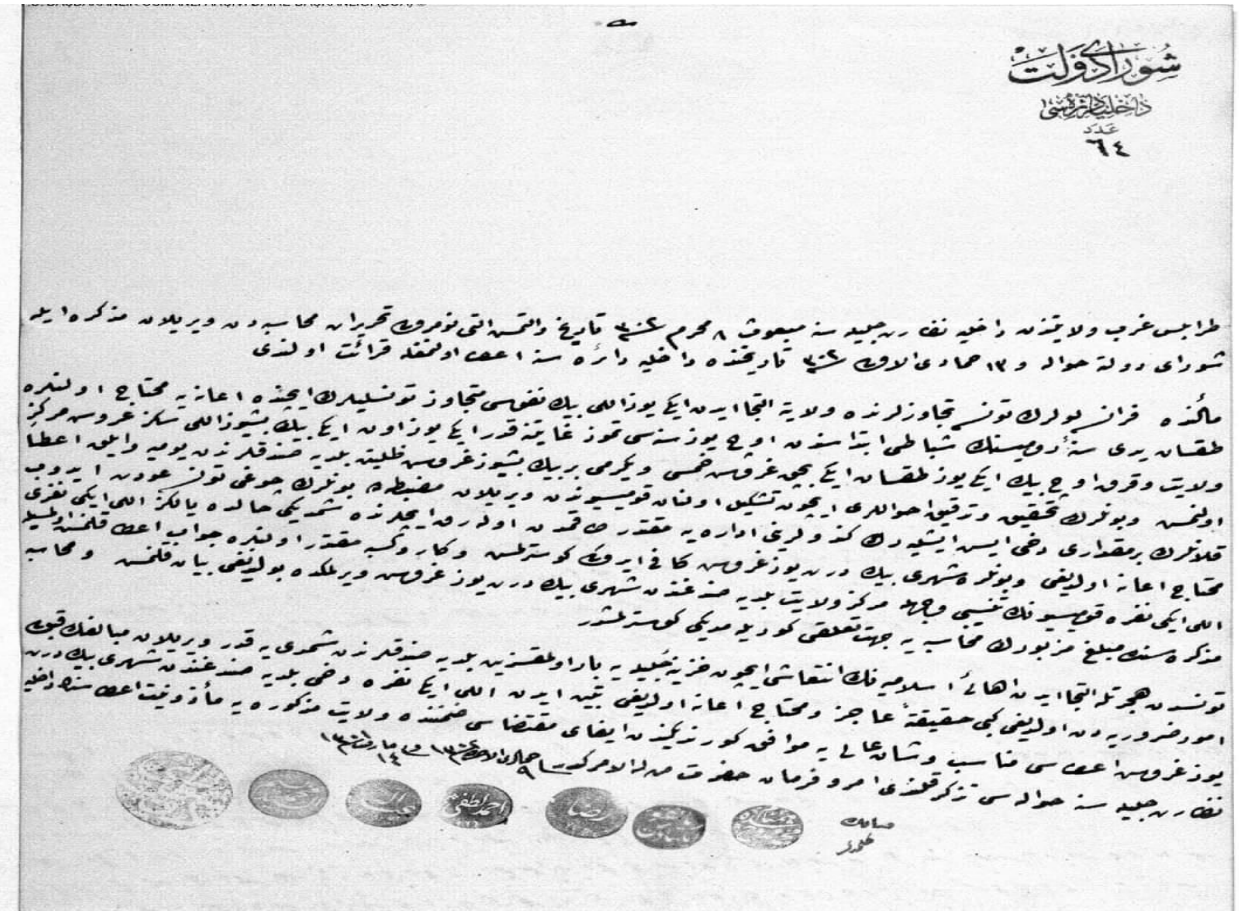

وتتعرض الوثيقة إلى المطالبة بمساعدات مالية للولاية بغرض صرفها على المهاجرين من تونس إلى أراضي ومدن طرابلس الغرب والذين اقترب عددهم حسب تقديرات مجلس الشورى من ربع مليون نسمة، حيث أحصت تعداداتهم ما يزيد عن مائتين وثلاثة وثلاثين ألف مهاجر من تونس وصل إلى أراضي ومدن طرابلس الغرب، وتم توزيعهم على عدد من المدن والقرى بها.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

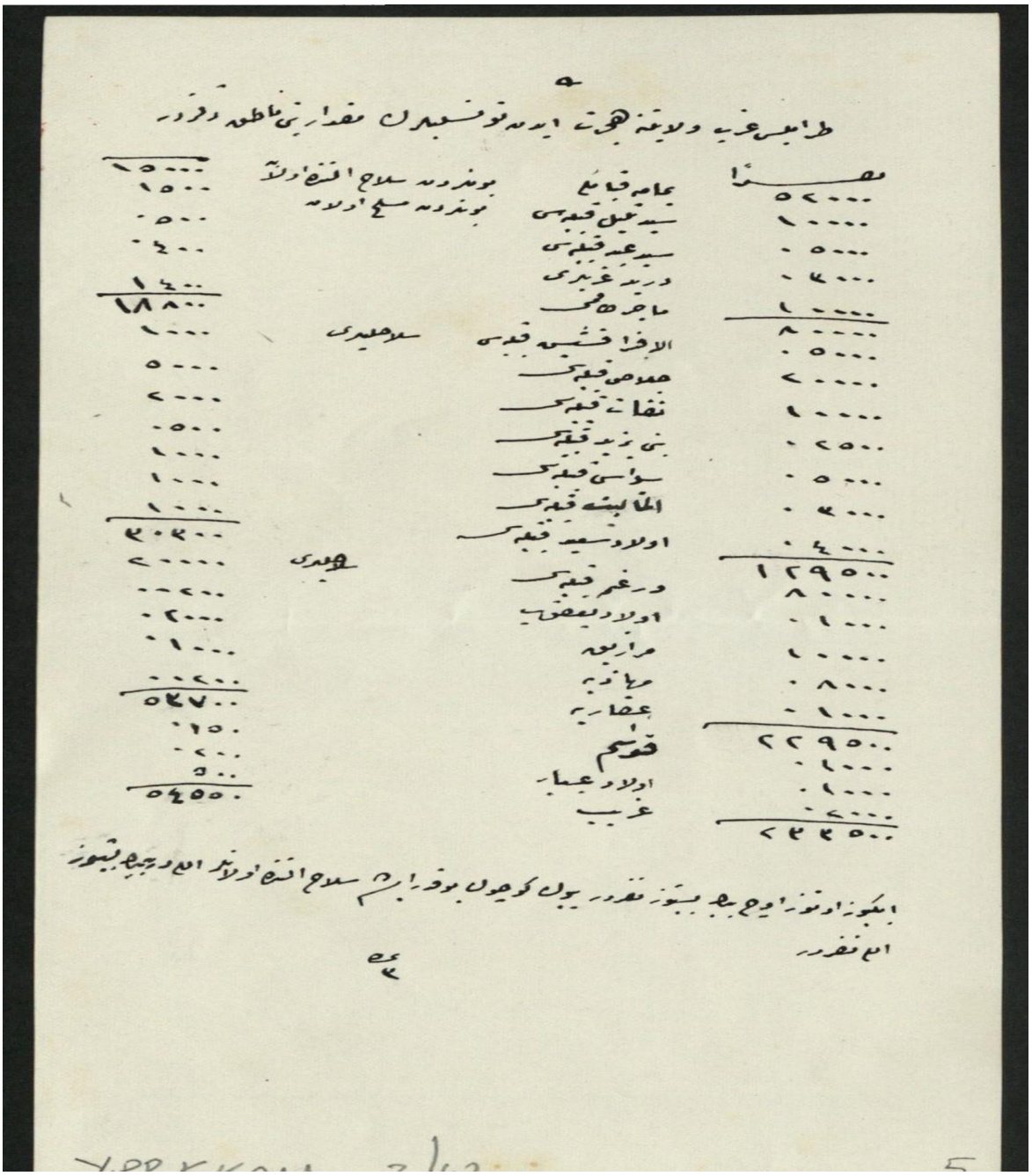

وهذه الوثيقة هي في واقع الحال تقرير مالي صادر عن مجلس شورى الدولة في إسطنبول مؤرخة في يوم 9 جمادى الأولى سنة 1302هـ الموافق 24 فبراير سنة 1885م، أي أنها بعد أربع سنوات من الاحتلال الفرنسي لتونس سنة 1881م، وبها تسجيل لأعداد اللاجئين من تونس جراء الاستعمار الفرنسي إلى أراضي ولاية طرابلس الغرب، وتبين الوثيقة مناطق استقرارهم وتحصر المسلحين منهم على النحو التالي:

قبيلة الهمامة: 52.000 لاجيء، فيهم 15.000 رجل مسلح

قبيلة تليل: المهاجرون: 10.000 لاجيء، فيهم 1.500 مسلح

قبيلة عبيد:: 5000 مهاجر، من ضمنهم 500 رجل مسلح

قبيلة دريد: المهاجرون: 3000 مهاجر، والمسلحون منهم 400

قبيلة ماجر: 10000 لاجيء، والمسلحون منهم 1400

قبيلة الفراشيش: المهاجرون: 5000، المسلحون منهم: 1000

قبيلة الجلاص: 20.000 ، والمسلحون منهم: 5000

قبيلة النفاتي: 10.000لاجيء، فيهم 2000 مسلح

قبيلة بني يزيد: 2500 مهاجر، والمسلحون منهم 500 مسلح

قبيلة السواسي، المهاجرون: 5000، المسلحون: 1000

قبيلة المثاليث، المهاجرون: 3000، المسلحون: 1000

قبيلة أولاد سعيد: المهاجرون: 4000، المسلحون: 1000

قبيلة ورغمة: المهاجرون: 80000، المسلحون: 20000

قبيلة أولاد يعقوب: المهاجرون: 1000، المسلحون: 200

قبيلة المرازيق: المهاجرون: 10000، المسلحون: 2000

قبيلة المهاذبة: المهاجرون: 8000، المسلحون: 1000

قبيلة العكاري: المهاجرون: 1000، المسلحون: 200

قبيلة القواسم: المهاجرون: 1000، المسلحون: 150

قبيلة أولاد عيار: المهاجرون: 1000، المسلحون: 200

قبيلة الغريب: المهاجرون: 2000، المسلحون: 500

المجموع: (233.500) مهاجر، ومجموع المسلحين منهم: 54.550.

والعدد الإجمالي فيه ارتفاع بيّن يقترب من ربع مليون نسمة، في حين أن تعدادات الدولة العثمانية في ولاية تونس في فترات سابقة قريبة من الاحتلال الفرنسي تتراوح قريباً من المليون ونصف المليون نسمة، وهذا يعني بيانياً أن ما يعدل سبع الساكنة في كل الولاية قد هاجروا إلى طرابلسي الغرب، أو بمعنى آخر أن واحداً من كل سبعة أشخاص قد هاجر إلى طرابلس الغرب بشكل تقريبي.

وفي طور لاحق رجع القسم الأكبر من هؤلاء إلى بلدهم، فيما اندمج قسم صغير في المجتمع الليبي، في ظل تحصل بعض المنقطعين والمحتاجين على معونات عينية من صندوق بلدية طرابلس بواقع 1400 قرش سنوياً، ما شجع البعض على البقاء.

وفي الوثيقة تفصيل للمبالغ التي صرفت لمثل هؤلاء في طرابلس والخمس وزليطن من شهر فبراير سنة 1297رومي عثماني أي 1882م، لغاية شهر يوليو 1300 رومي عثماني أي 1884م، ففي بلدية طرابلس بلغ مجموع الأعطيات (21.2550) قرشاً، وفي الخمس (43.292) قرشاً، وفي زليطن (21.500) قرشاً.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

الهجرة الليبية إلى تونس:

تعود خلفيات هجرة الليبين نحو تونس إلى عوامل سياسية متصلة مباشرة بفظائع الاستعمار، وسياسة التهجير الممنهجة خاصة فترة الاستعمار الاستيطاني في ليبيا، وقبلها سياسة التتريك ونظام الجباية المجحف في العهد العثماني([1]).

وغير خافٍ على المؤرخين تتابع أحداث الغزو والحرب جل سني تاريخ ليبيا الحديث، من ثورات على الأتراك العثمانيين إلى حركة الجهاد الليبي ضد الايطاليين، وما تبعها من تداعيات تجاوزت القتل والإعدامات إلى التهجير القسري إلى الهجرة تحت وطأة الحروب والتنكيل([2]).

وكان من أسباب الهجرة من ليبيا إلى تونس الاستقرار السياسي النسبي الذي تمتعت به تونس وافتقرت إليه ليبيا في الحقبة القرمانلية([3])، مع الأخذ في الاعتبار صعوبة تحديد الحدود الفاصلة بين الإيالتين([4])، فتونس وطرابلس الغرب لم تكونا دولتين بالمفهوم الحديث وليس لهما امتدادهما الجغرافي الواضح بالمعنى الذي تحدده خطوط الطول والعرض، بل كانتا متداخلتين اجتماعياً واقتصادياً([5]).

ومن العوامل التي شجعت الهجرة الليبية تلك الجوائح والأوبئة منها الوباء الأصفر(الكوليرا) والتي قضت على أكثر من نصف سكان تونس سنة 1865م([6])، ما أدى إلى فراغ الكثير من الأراضي الزراعية من الفلاحين، ما أدى إلى الاستعانة بالأيادي الطرابلسية التي كانت لها خبرة واسعة بأعمال الفلاحة([7])، كذلك اضطرت ذات الجوائح الليبيين إلى الهجرة مثلما حدث في وباء سنة 1886م ([8]).

ومن عناصر القبائل والعائلات التي هاجرت إلى تونس عائلات من ترهونة وورفلة والرقيعات والزنتان والأصابعة وورشفانة والعلالقة والرياينة والبلاعزة والعلاونة والبركات، وبعض سعادي برقة كالعبيدات والعرفة، ومن المرابطين المزاوغة والعجيلات والمراغنة والفرجان وأولاد مسلم والزليطنية من الفواتير وأولاد الشيخ والعمايم والبراهمة وأولاد غيث والكراغلة وغيرهم.

ومع العامل السياسي يبرز العامل الاقتصادي المتمثل في فرض الضرائب من قبل المستعمرين، وشح الرزق، وجوائح الأوقات من الجدب والقحط والمجاعات، والتي وصلت شدة وطأة بعض سنيها على الليبيين أن صارت السنوات تسمى بها، وهذا مدار بحث لطيف لو أنجز من قبل المتخصصين في التاريخ الليبي الحديث، حيث نجد في موروثنا الشعبي المحكي والتواتر شفاهةً بعض مسميات السنوات الشهيرة مثل عام الشر أي سنة المجاعة([9])، وعام الهجة وهو عام

---

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1983، ص32.٥

(2) مجموعة مؤلفين، موسوعة روايات الجهاد، جزء خاص بالمنفيين، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين، 1983، ص3.

(1) فيرو، الحوليات الليبية، ص 351.

(2) مصطفى عبدالله بعيو، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، طرابلس، الدار الليبية للنشر، 1967، ص108.

(3) سعاد الجفال، العلاقات الليبية التونسية خلال العهد العثماني الثاني، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2006، ص132.

(4) حسن حسني عبدالوهاب، مختصر تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001، ص144.

(5) إبراهيم أحمد أبو القاسم، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية 1911_1957م، تونس، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، 1992، ص248.

(6) آمال المحجوب، الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب، 1835-1911، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2006، ص43.

(7) نفس المرجع، ص34.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

هجرة الناس من مناطقهم، وعام القطامة وهي سنة أكل الناس فيها القطامة وهي نخالة القمح والشعير لاختفاء الأكل تماماً، وغيرها مسميات شعبية تراثية لكنها تؤصل لواقع حقيقي عاشه الناس حينها.

علاوة على عوامل أخرى تبدو مؤثرة في الهجرة وسبباً فيها، ربما تكون الصراعات القبلية والنزاعات الداخلية أحد أبرزها ، فقد حدث غير مرة أن اضطرت جماعات للنزوح أمام اشتداد النزاع مع قبائل أو جماعات أخرى.

وعلى كل حال فالنتيجة من كل تلك العوامل وعوامل أخرى أن كانت تونس دار هجرة لعناصر وعوائل وقبائل ليبية خلال فترات متباعدة ومتقاربة من القرنين التاسع عشر والعشرين، ودار هجرة وقرار للكثير من تلك العوائل والجماعات والقبائل، والذي يهمنا في هذا الصدد موضوع أولئك الذين هاجروا إلى تونس فاستقروا، أما أولئك الذين هاجروا ثم آبوا فموضوع آخر لا مجال للخوض فيه ههنا، حيث سينصب الاهتمام على الذين هاجروا فاستقروا ثم انصهروا في المجتمع التونسي، واصطبغوا بماهيته المجتمعية وصاروا من نسيجه المجتمعي اليوم.

مناطق استقرار المهاجرين الليبين بتونس:

استقر جلّ المهاجرين الليبيين في تونس في المراكز الحضرية بالمدن وفي مناطق الفلاحة الجنوبية، فتوزع المهاجرون بين مدن تونس والفحص والمنستير والقيروان وصفاقس وقفصة وقابس ومدنين وبن قردان، وبمنطقة المناجم القريبة من قفصة ([1]).

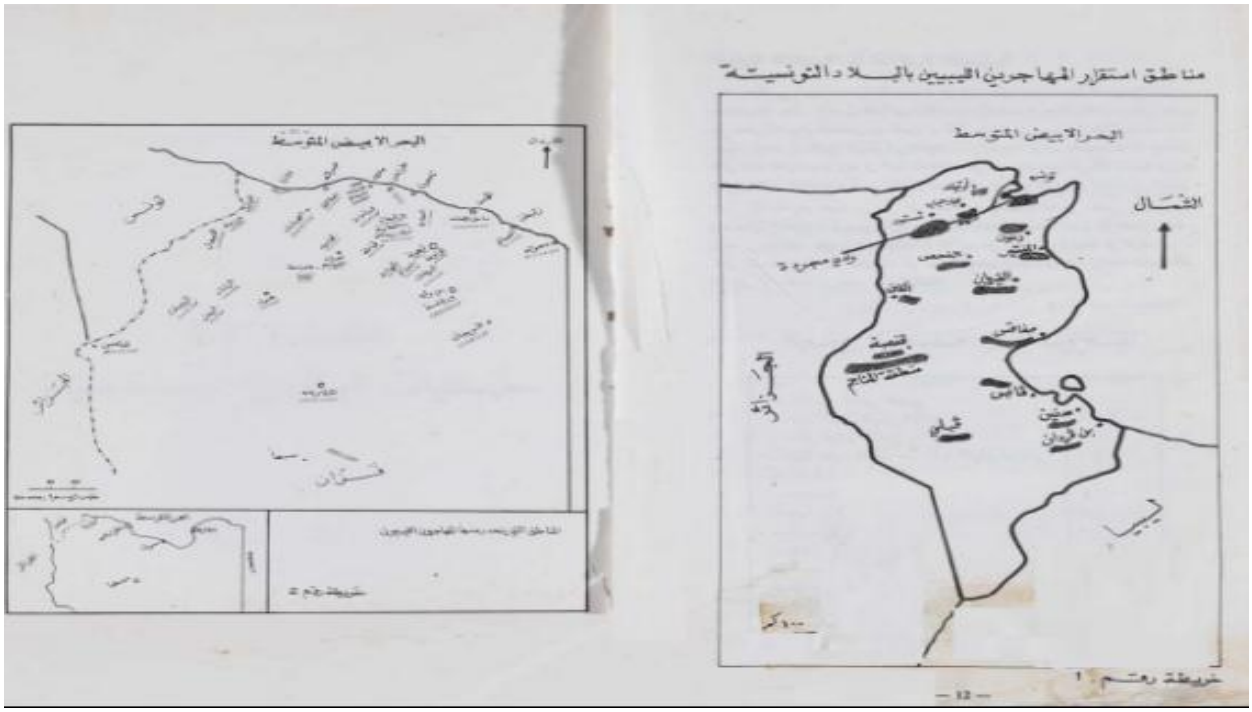

مفهوم العرش في العرف الاجتماعي التونسي:

يتخذ مصطلح العرش في الأصل سمة ذات نشأة اجتماعية صرفة، فهو تعبير عن رباط اجتماعي بين مجموعة من العوائل الذين تجمعهم رابطة دم قريبة مثل القبائل تماماً، بزيادة أن المكان الذي تتخذه العشيرة مقراً وأرضاً يتخذ مفهوم

(1) حفيظ طبابي، عمال مناجم قفصة في العهد الاستعماري، تونس، دار تونس للكتاب، 2015، ص36.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

العرش كذلك([1])، ويمكن تسمية ائتلاف أو تجمع مجموعة قبائل متصلة النسب والرباط الاجتماعي بالعرش، فبالتالي هي عروش وأراضيها عروش([2]).

وواقع الحال أن هذه التسمية موجودة وبنفس المعنى الاجتماعي والطوبوغرافي في الجزائر والمغرب كذلك، وتأخذ في العموم مفهوم القبيلة والأرض التي تحوزها([3])، ولأنها ملكية جماعية مشتركة بين جميع عائلات أو بيوت القبيلة أو العرش فهي لا تقبل القسمة ولا تخضع لعمليات البيع والشراء والتوريث، لذلك فهي تجمع بين حق الملكية الجماعية والاستغلال الفردي([4]).

ورغم التصاق مفهوم العرش أحياناً بالملكية الفلاحية وتملك الأراضي بصورة أكبر، إلا أن المصطلح يتواءم مع وصف ووسم مجموعة العوائل المتصلة برباط الدم والقرابة، وهذا لا ينفي أن مفهوم العرش يعني بشكل دقيق فيما يخص الأراضي العروشية الملكية الجماعية لمساحات محددة من الأراضي، يكون للفرد فيها ضمن الجماعة حق الانتفاع لا حق التملك، إذ التملك في النظام لعروشي ملكية جماعية في ظل تعبيرها عن تجمع قبلي بشري، وتسمى في هذه الحالة بالعروش والقبائل في تونس، وتعرف أيضا بأراضي العروش أو السباقة بالجزائر، وتسمى أراضي الجماعة بالمغرب الأقصى([5]).

وتتعدد الإحصائيات التي استهدفت بشكل أو بآخر حصر أو تقريب أعداد المهاجرين الليبيين بالبلاد التونسية ولم يعودوا لأرض الوطن، فمركز جهاد الليبيين ذكر في تقرير بالخصوص أن الليبيين الذين هاجروا إلى تونس ولم يعودوا (4607) مواطن ليبي([6])، وهذا التقدير لا يتواءم مع الواقع لأن أعداد الليبيين بالديار التونسية يفوق ذلك بكثير لسببين:

الأول أن كثرة المهاجرين الليبيين بتونس خاصة جراء الإبادة الإيطالية الممنهجة قادت إلى انتظام القبائل الليبية في التركيبة المجتمعية التونسية المعروفة بالعروش، ولو لم تكن أعدادهم غفيرة لما اضطرت تونس إلى اعتبارهم كيانات مجتمعية عروشية منفصلة عن مكونات المجتمع التونسي بعروشها ومسمياتها.

والسبب الثاني وجود بعض الإحصائيات في تونس تذكر أعداداً أكبر بكثير، منها إحصائية استعمارية فرنسية أجريت سنة 1936م، قدرت أعداد الليبيين بتونس بعدد(25.700) نسمة([7]).

(1) نعيمة حاجي، أراضي العرش بين ملكية الدولة وحيازة العروش في الجزائر، مجلة الحقيقة، المجلد 17، العدد 3، جامعة أحمد دراية، الجزائر، 2018، ص299.

(2) ملاوي إبراهيم، ونعيمة حاجي، النظام القانوني للأراضي الاشتراكية (أراضي العروش) في تونس، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثامن، كلية القانون، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016، ص115.

(3) صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، قسنطينة، دار الألمعية، 2012، ص580.

(4) ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص45.

(5) الهادي سعيد، تطور الملكية العقارية وأثره في تونس، تونس، منشورات مركز الدراسات القانونية والقضائية بوزارة العدل، 1996، ص376.

(6) عطية محمد المحروق وآخرون، المهجرون والأسرى والمنفيون الذين لم يعودوا لأرض الوطن، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 1988، ص421.

(7) إبراهيم أحمد أبوالقاسم، المهاجرون الليبيون في البلاد التونسية، تونس، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله للنشر، ص42.

فيما يفيد نفس التقرير بأن ما بين ستة إلى ثمانية آلاف مواطن من أصول ليبية مستقرون بالجنوب ولا يخضعون للإجراءات الفرنسية ولم يشملهم ذلك الإحصاء([1])، وذكر تقرير ثانٍ صادر عن إدارة الإقامة في مدينة صفاقس في سبتمبر 1944م أن عدد (5000) من المواطنين الطرابلسيين مقيمون ما بين قفصة وقابس([2]).

فيما قدّر المقيم العام الفرنسي في تونس في رسالة لوزير المستعمرات الفرنسية بتاريخ 17 نوفمبر 1938م عنوانها (الجالية الطرابلسية بتونس) أن عدد الليبيين بإيالة تونس يقارب(28.000) نسمة([3])، فيما ذكر الطاهر الزاوي أنه سمع من بعض المهاجرين إلى تونس أن أعدادهم هناك تصل إلى (20.000) نسمة([4])، فلو افترضنا رجوع نسبة كبيرة منهم تفوق النصف أو أكثر فإن الذين لم يعودوا تكون أعدادهم غير قليلة في كل الأحوال.

والواضح أن كل المهاجرين الليبيين انتظموا في سلك التنظيم العروشي العمول به في تونس، لأسباب عديدة: أهمها أنه التنظيم العشائري المرتبط بالقرار والتملك في تونس، وهو في ذات الوقت النظام الإداري المعتمد على المستوى الإداري والرسمي وفي تعامل الحكومات مع الأهالي،

(1) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(3) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(4) الطاهر الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ط2، لندن، منشورات دارف المحدودة، 1985، ص13.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

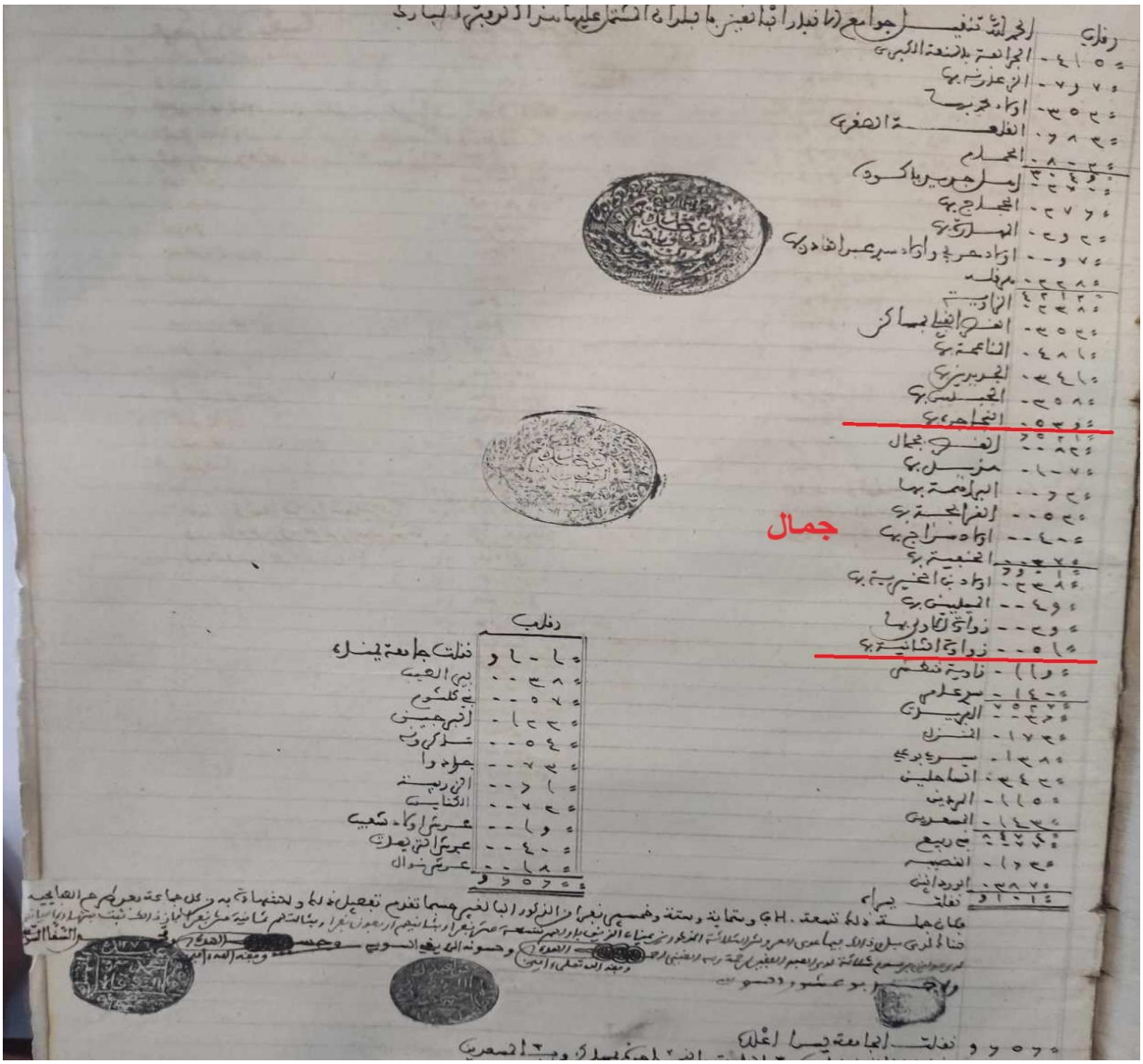

_ وثيقة من سنة 1860م تعدّد العروش المستقرة بسوسة وضواحيها والتي كانت تضم ولاية سوسة المعروفة اليوم وأجزاء من ولاية المنستير ومن مدينة زغوان

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

وفي هذه الوثيقة المؤرخة في03 رجب 1408الموافق 12 فبراير سنة 1891م والصادرة عن باي تونس علي باشا تفريق بين العروش والتركيبات المجتمعية بين (البلدية والبرانية)([1])، فالبلدية هم السكان القارين في المكان منذ القدم، والبرانية هم الوافدون من غير أهل تونس وربما من الجنوب التونسي، وتسمي الوثيقة البرانية.

كما عرف البرانية في تونس كذلك باسم (الآفاقيين)([2])، بمعنى القادمين من كل الآفاق، وهذه الوثيقة تنص على تعيين أحد الوجهاء شيخاً على البرانية المقيمين بباب سويقة في تونس العاصمة.

(1) محمد المنجي بلحسين، مدينة تونس في القرن الحادي والعشرين، ج1، تونس، المطبعة العصرية، 1997، ص478.

(2) محمد نجيب بوطالب، القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار، تونس، كلية العلوم الانسانية، 2002، ص330.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

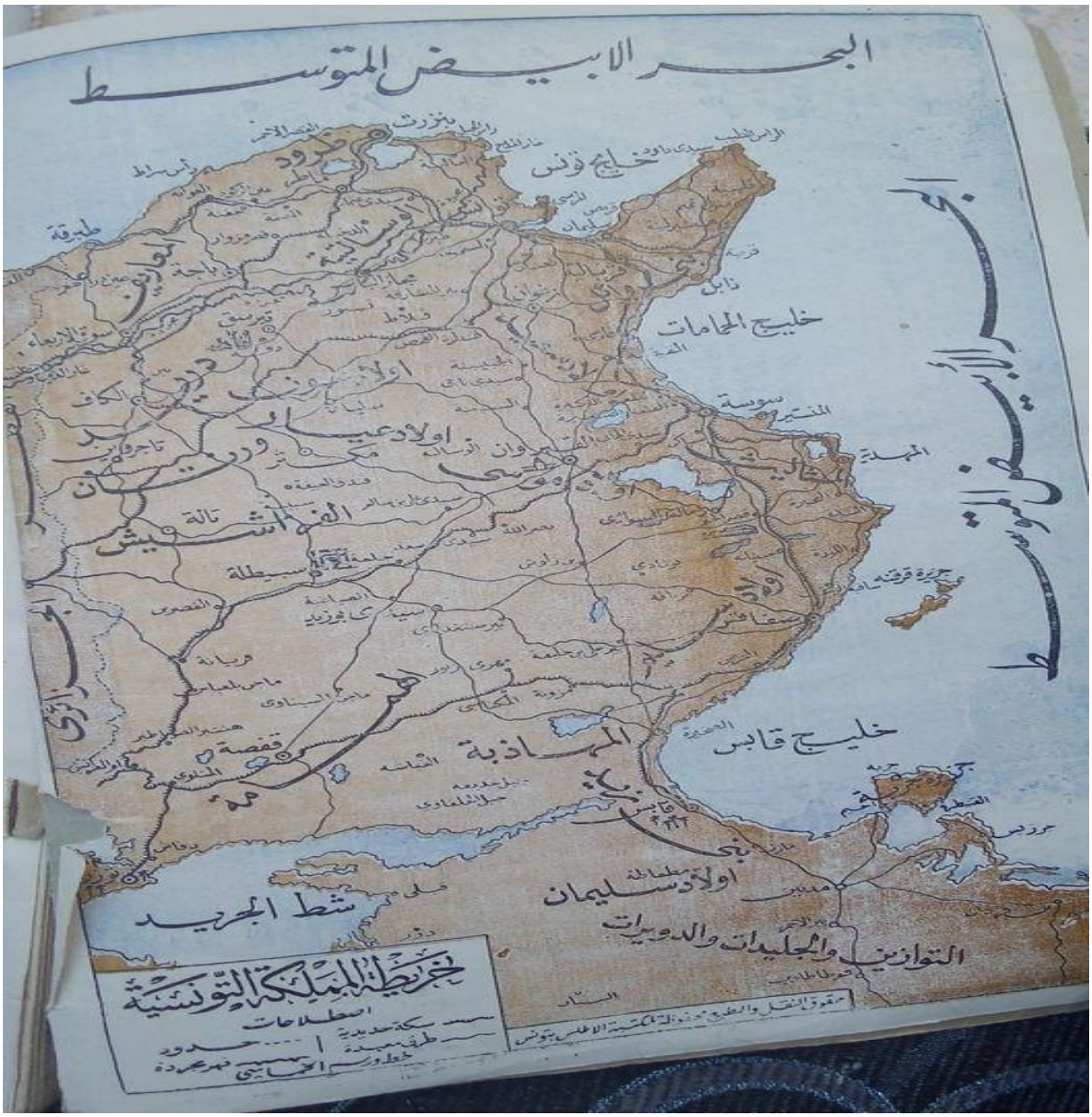

والمهم في هذا الإطار التقسيمي المجتمعي في تونس أنه كان ينعكس على مستوى الحياة الاجتماعية بين الفئتين في المسكن والعمل والدخل والمكانة الاجتماعية، وربما اتخذت تسمية البرانية في أواخر القرن التاسع عشر دلالات تمييزية واضحة مع ازدياد ظاهرة البرانية، وربما وبحسب أقدمية الاستقرار كثيرًا ما يتحول البراني إلى بلدي ويكون المهاجر الجديد برانيا وهكذا([1]).

المشيخات في تونس وعلاقتها بالعروش:

كان النظام الإداري في التعامل مع المهاجرين فترة البايات بتونس يقوم على تخصيص موظف يسمى العامل، والذي يعينه الوالي مباشرة، ويتكفل بكل شئون المهاجرين بتونس، ويتعامل العامل مباشرة مع رؤساء المشيخات التي يتبعها

(1) بوطالب، القبيلة التونسية، ص330.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

المهاجرون، حيث تعني مشيخة الطرابلسية الجماعة القادمة من طرابلس، ومشيخة الغدامسية للقادمين من غدامس، ومشيخة الفزازنة لأهل فزان المهاجرين إلى تونس وهكذا([1]).

وبعد مجيء المستعمر الفرنسي دأبت الإدارات التونسية في عهد البايات على تنظيم شئون التونسيين لتسهل مهمة معرفة تفاصيل شئونهم ومن ثم التعامل معهم وفق المعرفة بهم حق المعرفة، فقامت الإدارة الفرنسية بتقسيم البلاد التونسية إلى تفريعات قبلية اصطلح التونسيون على تسميتها العروش([2])، وبداخل العروش مشيخات، والمشيخات تعبير إداري يعني تكليف شخص كمسؤول مباشر عن أحوال الأفراد المنضوين تحت العرش([3])، وكل هذه العروش تخضع للتوجيه المباشر من الإدارة الفرنسية الاستعمارية.

وفيما يخص المهاجرين الليبيين فقد كان البايات في البداية يكلفون شخصاً واحداً يسمونه العامل، مهمته الإشراف المباشر على كل أحوال المهاجرين وتنظيم إقامتهم وعلاقتهم بالإدارة ومؤسساتها، خاصة فيما يتعلق بشئون التجنيد وجباية الضرائب وغير ذلك.

وهذا الشيخ العامل يشرف على مشائخ العروش الليبية في تونس، من العرش الطرابلسي إلى الفزاني إلى الغدامسي وهكذا([4])، بمعنى أن كل عرش من المهاجرين له شيخ واحد، وكل مشائخ العروش يراجعون العامل الذي يعينه الباي بشكل مباشر، بيد أن هذا النظام لم يستمر عند مجيء الاستعمار الفرنسي، حيث ذكر أن آخر عامل مكلف بشئون المهاجرين الليبيين كان هو أمير اللواء محمد عبدالرؤوف حتى سنة 1881م([5]).

مشيخة الفزازنة في مدينة تونس:

من المتعارف عليه في التقسيم العشائري والعروشي التونسي مستهل القرن العشرين تسمية التقسيمات بحسب النواحي، فهناك على سبيل المثال: مشيخات تونس ومشيخات ضواحي تونس، ومشيخات البرانية بضواحي تونس وغيرها([6])، ومعنى البرانية كل أولئك الذين طرقوا الولاية من خارجها واستقروا بها، وكان من أشهر المشيخات البرانية بمدينة تونس مشيخة الفزازنة([7]) التي ينضوي تحتها كل القادمين من فزان، وقد تركز الحضور الفزاني بتونس في مدينة تونس، والتأمت كل العناصر القادمة من فزان في مكان متقارب من أحياء العاصمة وشكلوا حياً مشهوراً يقطنه أهل فزان بشكل كبير سمي نهج الفزازنة، وهو حي أهل فزان ودرب مساكنهم([8]).

(1) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص9.

(2) الهادي التيمومي، انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر، تونس، بيت الحكمة، 1993، ص96.

(3) بلحسين، مدينة تونس، ص350.

(4) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص47.

(5) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(6) بوطالب، القبيلة التونسية، ص329.

(7) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص52.

(8) نفس المرجع، نفس الصفحة.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ومما يجدر ذكره أن أهل نهج الفزازنة انصهروا تماماً في مجتمع تونس العاصمة وبقي اسم النهج أو الحي إلى يوم الناس هذا ففي أحد أحياء مدن العاصمة الواقع بالقرب من ساحة باب سويقة تقابلك لافتة واضحة مكتوب فيها نهج الفزازنة وهي تأصيل للمكان التاريخي الذي استوطنه أهل فزان في العاصمة وكونوا فيها العروش الفزانية التي تضم العوائل والقبائل القادمة من فزان والمستقرة بذلك الحي من العاصمة.

صورة حديثة لمدخل حي الفزازنة بباب سويقة بالعاصمة تونس.

صورة لمدخل نهج الفزازنة بباب سويقة.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

صورة لقهوة مزدحمة في تونس العاصمة يعود تاريخها لسنة 1905م، وتعرف باسم قهوة الفزاني، ويبدو أنها كانت مركز تجمع واجتماع للفزازنة بالعاصمة تونس في تلك الفترة وبعدها، وتقع في نهج الفزازنة.

ذات المقهى في العصر الحديث.

ومما حفظته الذاكرة التاريخية عن أهل فزان القارين بالعاصمة تونس، أنهم انتظموا في عروش كلها فزانية وحملت مع بعضها اسم عروش الفزازنة، وقد وصل عددها سنة 1929م إلى تسعة عشر عرشاً([1])، وهذا معناه أن العناصر الفزانية

(1) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص51.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

التي استقرت بتونس العاصمة كانت تسعة عشر لحمة أو فخذ قبلي فزاني، وتجتمع كل هذه العروش التسعة عشر في تنظيم إداري واحد يسمى مشيخة الفزازنة([1]).

واستمرت العروش الفزانية قوية وممثلة بمشيخة فزانية حتى الربع الأول من القرن العشرين، حيث يبدو أن حكومة الوصاية لم تكن ترغب بأن تكون العروش الفزانية وحدة اجتماعية إدارية قائمة بذاتها، بل تكون تابعة لكل العروش القادمة من القطر الليبي وتكون كلها ممثلة بالمشيخة الطرابلسية.

ففي كتاب المهاجرون الليبيون بالديار التونسية ذكر لوثيقة يطالب من خلالها أهل فزان المقيمين بتونس بتعيين مشيخة للعروش الفزانية، بعد وفاة شيخ العروش الفزانية الشيخ سعيد الفزاني تولى بعده الشيخ محمد علي الفزاني سنة 1925م، وبعدها لم تقم حكومة تونس بتعيين شيخ مكانه، ما حدا بالفزازنة أن يطالبوا غير مرة من أحمد باشا باي تعيين أحد أعيان الفزازنة على مشيختهم في تونس، وكان آخر تلك المطالبات بتاريخ 1929/5/2م([2])، وكان عدم استجابة الباي معناه توقف استقلال العروش الفزانية، وضمها كغيرها من العروش الليبية تحت رعاية مشيخة الطرابلسية.

وفي أغلب الأحيان كانت المشيخة الطرابلسية تختار شخصاً من الوجهاء ليمثل العروش القبلية القديمة في المشيخة الطرابلسية التي صارت تجمع وترعى مصالح كل المهاجرين الليبيين، وأطلق على هذا الشخص اسم الشاويش، وتعتبر مهمة الشاويش هذا مهمة تنسيقية بين العروش القبلية ومشيخة الطرابلسية بكل تراب تونس.

ومن أهم الأعيان والشخصيات التي تولت إما مشيخة عروش الفزازنة أو مهمة شاويش الفزازنة مجموعة من وجهاء المهاجرين الفزازنة من ذوي الاحترام والتقدير لدى عموم الأهالي، قاموا برعاية مصالح أهل فزان في المهجر، ونابوا عنهم في مشيخة الطرابلسية أو لدى الحكومة التونسية، وكانوا بمثابة شيوخ القبائل الفزانية بتونس، ومندوبين عنهم لدى المشيخة الطرابلسية، وكانوا من ذوي الوجاهة والحكمة والرأي، ومنهم:

_ الشيخ أحمد البي
_ الحاج ميلود الفزاني
_ الحاج محمد على الفزاني(باش شاويش)
_ الحاج الحبيب الفزاني (شاويش)
_ أحمد بن سلومة
_ محمد بن علي
_ علي بن منصور (شاويش)
_ علي البحري
_ علي بن طريفي(شاويش)
_ علي القادري
_ صالح بن شبش

(1) نفس المرجع، نفس الصفحة
(2) نفس المرجع، ص52.

_ سالم بن حامد

_ عبدالله بن امحمد

_ امحمد بن تريكي

_ محمد بن صالح

_ محمد بن عبدالله

_ علي بو سنينة

_ الشيخ المؤدب مالك ([1]).

مهن وأعمال الفزازنة بتونس:

مارس الفزازنة بتونس جلّ المهن والأعمال التي مارسها المهاجرون من ولاية طرابلس ومن الجزائر، وأول وأوضح مهنة مارسوها كانت بفعل عامل سياسي صرف، لأنهم تأثروا بما تأثروا به التونسيون من أحداث واضطرابات سياسية واقتصادية، وكل ما مرت وتمر به الديار التونسية من قلاقل سياسية واقتصادية واجتماعية، فنجد أن أعداداً غير قليلة منهم دخلت الجندية التونسية ضمن الفرق الحربية التي يسميها التونسيون فرق المزارقية([2]) وهي تعني الفرسان المقاتلين، والسبب واضح في قبول الفزازنة والطرابلسيين بشكل عام في فرق المزارقية وهي كونهم من مربيي الخيول ومن فرسانها، فقد لاحظ التونسيون ارتباط الطرابلسيين جميعاً بالفروسية وقيامهم بتربية الخيول في تونس، فقامت الولاية بتجنيدهم في تلك الفرق التي كانت تعمل في إطارين: الأول الحروب والقتال والثاني جمع الضرائب.

ولقد لاحظت وزارة الحربية في ولاية تونس تعلق الطرابلسيين بالخيول ومهارتهم في الفروسية بالإضافة إلى الشجاعة، فعلاوة على استخدام أعداد منهم في فرق المزارقية، سعت لشراء أعداد من خيولهم لاستخدامها في الأعمال الحربية ونحوها.

وعمل الفزازنة في فلاحة الأرض لخبرتهم الجيدة بها خاصة في التعامل مع شجرة النخيل والزيتون التي ألفوا زراعتها والاهتمام بها، فكانت الزراعة مهنة واضحة للفزازنة في تونس، عززتها خبراتهم المتراكمة في المجال الفلاحي بشكل عام، في ظل توفر الأرض الصالحة والمياه في مناطق استقرارهم، وقد كان لجلد وصبر الفلاح الليبي دور في تميز دخله اليومي عن غيره من البرانية الفلاحين، حيث كانت يومية الفلاح الطرابلسي بشكل عام تتراوح بين 1.5 إلى 1.75 فرنكاً في اليوم، فيما كانت أجرة العامل البراني غير الطرابلسي تتراوح بين 1.2 و 1.5 في اليوم([3])، ويبدو أن بعض القبائل الطرابلسية قد رفضوا العمل في فرق المزارقية، من مثل الطرابلسية في أهل ترهونة والمزاوغة والفرجان لأنهم رأوا أن كونهم من أبناء الزوايا فهذا عمل لا يليق بهم، علاوة على ضعف المقابل المادي الذي يتقاضاه المزارقية، وفي كل الأحوال فقد سجل التاريخ

(1) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص 53.

(2) المزارقية نسبة إلى المزراق (وتعني الرمح) كناية عن من يحمل السلاح من رجال القبائل الموالية للحاكم. وقد اشتهر رجال هذه القبائل بالخدمة في صفوف العسكر: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج5، تحقيق محمد شمام، تونس، الدار التونسية للنشر، 1989، ص23.

(3) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص132.

مشاركة المهاجرين الليبيين وخاصة المزارقية في ثورة علي بن غذاهم التي حدثت عام 1864م ضد الأتراك، بسبب فداحة الضرائب المجباة من الرعية بلديين وبرانية.

وفي المجال الحرفي عمل الفزازنة كغيرهم من الطرابلسيين كعمال في مناجم الفوسفات بالجنوب التونسي خاصة في قفصة، ولقد وصلت نسبة الطرابلسيين من عمال المناجم إلى 50% ، بما يعادل النصف تماماً فيما شكّل أهل تونس نسبة 40%، ومن الجزائريين نسبة 10% فقط، وهذه النسب كانت سنة 1936م([1]).

وتميز الفزازنة بالديار التونسية من ناحية اتخاذ مكان استقرار، بأن أغلبهم استقر بتونس العاصمة، وهذا قاد إلى امتهان أغلبهم الحرف المدنية لا الفلاحية، مثل العمل في المخابز ودكاكين البيع والعس على المخازن، وساعد في ذلك أن بعض الطرابلسيين امتلكوا محال ومخابز ومخازن كأهل ككلة على سبيل المثال، فساعد ذلك أهل فزان على العمل فيها.

والواضح أن البلدي في أحايين كثيرة كان يترفع عن ممارسة بعض الأعمال الحرفية وخاصة الأعمال الشاقة والتي يسمونها الخسيسة ([2]) مثل مهن الحمالين والحفارين والسباكين والبياضين وتجار الخضر والفواكه والفحامين وعمال الحمامات والعساسين، وهذه أوجدت مجال أعمال واسعة للبرانية الآفاقيين خاصة من ليبيا والجزائر، لذلك فقد امتهن الليبيون في تونس مهناً شاقة منها بل وأشهرها العمل في المناجم التي تتطلب جهداً شاقاً وعملاً مضنياً، كما عمل الفزازنة ممن استقروا بالمناطق الفلاحية كغيرهم من المهاجرين ومن أهل تونس في أعمال أخرى كان أهمها حرفة التراسة، ومهنة الخماسة([3])، وعمل السبابيبة([4]).

فأما مهنة التراسة فيقوم فيها التراس بالعمل اليومي نظير قوت يومه لا أكثر، ويسمونها بالعمل الخبزة أو المعاملة بالخبز([5])، وهي مهنة تضمن لصاحبها الأكل والشرب والمبيت فقط بدون أجر، لذا فإن أغلب التراسة يكونون أشخاصا غير متزوجين، ويمارسون الأشغال الفلاحية من رعي وحمل أثقال وجلب الماء.

أما مهنة الخماسة فتعني أن صاحب الأرض يتفق مع العامل عنده أي الخمّاس على خمس الأرباح التي يحصل عليها عند بيع محاصيل فلاحية أو بعض الماشية، ويمتد عقد الخماسة لمدة سنة، بين فلاح كبير أو متوسط من جهة وفلاح فقير لا يملك أرضاً، بل يملك جهده وعمله([6]).

---

(1) نفس المرجع، ص33.

(2) محمد نجيب بوطالب، هجرة العمل من قبيلة ورغمة إلى مدينة تونس1881_1950م، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، تونس، منشورات بيت الحكمة، 1999، ص427.

(3) الهادي التيمومي، مهنة الخماسة في تونس بين التشريع والواقع 1861_ 1875م، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، تونس، منشورات بيت الحكمة، 1999، ص89.

(4) مجموعة مؤلفين، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، ج 21، الرباط، مطابع سلا، 1989، ص 7346.

(5) أبو العباس أحمد القباب التونسي، شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع، تحقيق محمد البوطيبي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2022، ص33.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

أما حرفة السبايبية، التي تعرف لدى القرويين بالفلاحة بالسباب، وهي عملية تتم بين طرفين بحيث يسلم الطرف الأول مبلغاً مالياً أو أشياء عينية من الماشية أو أرضا فلاحية أو دكاناً للطرف الثاني، على أن يقوم هذا الأخير بالعمل والإنتاج، ويتقاسم الطرفان أرباح إنتاجهم بعد خصم رأس المال.

الجانب التعليمي والثقافي للفزازنة في تونس:

بعد فترة من القرار وظهور أجيال تالية من المهاجرين لم ينس أهل فزان كديدن كل الطرابلسيين الجانب التعليمي لأولادهم، في ظل وجود مؤسسات علمية كبيرة بوزن جامع الزيتونة وجامع جربة والتي كانت تقدم مستويات متقدمة من التعليم الديني والكتاتيبي بالإضافة إلى إنشاء عدد من الزوايا السنوسية في تونس، انتظم فيها الجيل التالي من عقب الطرابلسيين على الجملة ومن بينهم أبناء فزان، فاشتهرت هنالك عدة زوايا مثل الزوايا السنوسية، وزاوية شايب الذرعان، وزاوية أولاد بوعايشة، وزاوية أولاد المرغني وغيرها.

وقد ساعدت اللهجة التونسية خاصة لهجة الجنوب التونسي على سهولة التوصل والتفاهم السريع لقربها جداً من اللهجة الطرابلسية وعلى وجه الخصوص لهجة جنوب وغرب تونس، وهذا أوجد نوعاً متقارباً جداً من فهم الشعر المتشابه تماماً.

ومن الأمثال والتعابير الشعبية، ومن الفن الشعبي المتقارب تماماً، ومن مشهور الأمثال الليبية التي انتشرت بالتراب التونسي قولهم: (اللي ما شبح تونس تعجبه الحنايا) ([1])، وقولهم(وصّلني لجربة وخود ما تبي).

وفي الجانب العلمي ارتاد أبناء الفزازنة كغيرهم من أبناء المهاجرين الليبيين الكتاتيب والزوايا، وصولاً إلى جامع الزيتونة، حيث كانت فرصة الالتحاق بجامع الزيتونة متاحة إما في المسجد الكبير بالعاصمة أو عبر فروعه في المنستير وقابس وصفاقس([2]).

وفي مجال الموروث الشعبي المتعلق بالإيقاعات والفنون التراثية الشعبية، فإن التأثير الليبي على التراث التونسي يتمثل في عديد الجوانب، منها ما هو متعلق بالإيقاعات ومنها ما هو متعلق بالأوزان الموسيقية، فعلى سبيل المثال نجد في التراث الصوفي التونسي المرتبط بأوزان الضرب على الدفوف، نوعاً مميزاً من الإيقاع يسمونه السلامية نسبة إلى الشيخ عبدالسلام الأسمر([3]).

---

(6) الهادي التيمومي، مهنة الخماسة في تونس بين التشريع والواقع 1861_ 1875م، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، تونس، منشورات بيت الحكمة، 1999، ص90.

(1) الحنايا قنوات مرتفعة تقع في مدخل تونس، يجري بها الماء من عين زغوان إلى تونس المدينة، وكانت تلك الحنايا تشد أنظار الوافدين الغرباء لجمالها: محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ج1، ط1ن بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص ص 252،251.

(2) أبو القاسم، المهاجرون الليبيون، ص90.

(3) صالح المهدي، الإيقاعات الموسيقية العربية، ضمن سلسلة التراث الموسيقي التونسي، ج9، تونس، منشورات وزارة الشئون الثقافية، ص 6.

المؤتمر العلمي الدولي الإرث الحضاري لفزان واستشراف المستقبل

journal@fezzanu.edu.ly

ولعل أشهر تأثير فزاني في الثقافة التراثية التونسية يتمثل في أحد إيقاعات البلاد التونسية التي دخلت تراثها وأصبحت جزءاً من موروثها الموسيقي هو الإيقاع الفزاني([1])، والذي ترافق مع هجرة الفزازنة ثم استقرارهم بتونس، وبلغ من إعجاب أهل تونس به أن تعلموه وأدخلوه في منظومتهم الموسيقية، بسبب انتشاره بينهم، واستخدامه في مناسبتهم الاجتماعية، ولايزال حتى اليوم يعرف بالإيقاع الفزاني.

الخاتمة:

تماهت فكرة البحث مع التأصيل لظاهرة اجتماعية عمادها الهجرة فالقرار من بلد إلى بلد، تحت وطأة ظروف سياسية واقتصادية وأحياناً صحية، حيث برزت ظاهرة الهجرة من ليبيا وإليها مع بدايات العصر الحديث وأثناءه تحت ضغط الاستعمار والاجحاف في المكوس والضرائب، وربما بفعل صراعات داخلية ومناجزات قبلية، أدت إلى تحور ديموغرافي ما بين ليبيا بمفهومها الطرابلسي حينئذ وتونس الإيالة العثمانية ثم المستعمرة الفرنسية.

وذكر البحث أن أكبر هجرة لأهل تونس من بلادهم كانت نحو القطر الطرابلسي، وأشارت الوثائق إلى أن ما يتراوح بين خمس أو ربع ساكنة تونس نزحوا نحو القطر الطرابلسي في أول سني الاحتلال الفرنسي، وأعاد الليبيون الحدث عكسياً غير مرة، فنزحت أعداد بالآلاف نحو الديار التونسية على فترات متباعدة ومتقاربة، وأيضاً بفعل المستعمر وبفعل الإجحاف في المكوس، ولظروف صحية وقبلية في بعض الأحايين.

وفي العموم الغالب فقد سمي الليبيون في تونس بالطرابلسية على سبيل الجمع المجازي وتأثراً بمسمى القطر الليبي في العهد العثماني(طرابلس الغرب) فاعتبر أهل تونس كل القادمين من طرابلس الغرب طرابلسيين، لكنهم اكتسبوا هناك ألقابهم القبلية والمناطقية، فبين منتسب لطرابلس فهو طرابلسي، ومنتسب لفزان فهو فزاني وهكذا، ولذلك تلقى حتى اليوم الآلاف من العوائل التونسية لا تزال تحتفظ بأسمائها الليبية الطرابلسية التي هاجرت بها، فمنها الطرابلسي والترهوني والورفلي والغرياني والفرجاني والرياني والغدامسي والمصراتي والزليطني والقماطي والككلي والرقيعي والزواري واليفرني والورشفاني والفزاني وغيرهم.

وفيما يخص فزان فإن مهاجري فزان الإقليم في تونس، التأموا في تجمع شبه قبلي مثل غيرهم من المهاجرين، ووفق التنظيم الإداري والاجتماعي الذي وجدون أمامهم، فظهر تنظيم العروش الفزانية التي يحوس كل عرش مجموعة المهاجرين من أصل واحد أو من قبيلة واحدة، تجمعها كلها تسمية مشيخة فزان.

وهذا معناه أن تلك العروش انتظمت في ما يشبه المجلس الذي يرأسه أحد الفزازنة ويقوم بحل مشاكلهم جميعاً ويكون صلة الوصل بين الفزازنة وغيرهم ومع الجهات الرسمية في تونس، ولا غرو فقد وصل عدد العروش الفزانية في تونس إلى تسعة عشر عرشاً تلتئم في مشيخة واحدة هي مشيخة الفزازنة في تونس.

(1) أحمد رجائي، أوزان الألحان بلغة العروض، ط12، دمشق، دار الفكر، 1999، ص407.

ورغم أن المشيخة الفزانية طالها كغيرها تنظيم جديد اتخذته حكومة الوصاية الفرنسية، وجمعت كل أطياف المهاجرين الليبيين تحت مسمى مشيخة الطرابلسيين، إلا أن ملامح التفرد الفزاني بقي في أكبر تجمعات أهل فزان بباب سويقة بالعاصمة تونس، فهناك حتى اليوم حي كامل يسمى نهج الفزازنة، كما بقيت آثار أهل فزان الثقافية والفنية في التراث التونسي حتى يوم الناس هذا.

وفي تونس انصهر الفزازنة الذين بقوا في تونس مع المجتمع التونسي وصاروا جزءاً منه، ومن البداية مرس الفزازنة أعمال الفلاحة والخفارة والتجارة والعمل في مناجم المعادن بقفصة، كما ارتاد أبناؤهم الكتاتيب والزوايا ودور العلم، وتميزوا بقدرتهم على أداء الأعمال الشاقة، وقدرتهم على التأقلم مع المحيط، وتفردهم بمميزاتهم الخاصة، فهناك فن شعبي تونسي مشهور اسمه الفزاني وهو فزاني فعلا، وهناك مقاهي شعبية تحمل اسم الفزاني، وشوارع وأحياء اشتهرت بأهل فزان.

أخيراً يوميء البحث إلى زيادة التقصي عن العوائل التونسية ذوات الأصول الفزانية، فلا تزال أسماء الفزازنة موجودة في أنساب بعض العائلات هناك، بل تعدو تونس إلى الجنوب الجزائري، وهذه مهمة لا تبدو عسيرة إذا توافر عامل البحث والاستقصاء العلمي الصحيح.

قائمة المصادر والمراجع:

_ ابن أبي الضياف: أحمد، إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج5، تحقيق محمد شمام، تونس، الدار التونسية للنشر، 1989.

_ إبراهيم: ملاوي، ونعيمة حاجي، النظام القانوني للأراضي الاشتراكية (أراضي العروش) في تونس، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد الثامن، كلية القانون، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016.

_ أبو القاسم: إبراهيم أحمد، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية 1911_1957م، تونس، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، 1992.

_ بلحسين: محمد المنجي، مدينة تونس في القرن الحادي والعشرين، ج1، تونس، المطبعة العصرية، 1997.

_ بعيو: مصطفى عبدالله ، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، طرابلس، الدار الليبية للنشر، 1967.

_ بوطالب: محمد نجيب، القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار، تونس، كلية العلوم الانسانية، 2002.

_ ــــــــــــــــــ، هجرة العمل من قبيلة ورغمة إلى مدينة تونس1881_1950م، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، تونس، منشورات بيت الحكمة، 1999.

_ التيمومي: الهادي، انتفاضات الفلاحين في تاريخ تونس المعاصر، تونس، بيت الحكمة، 1993.

_ ــــــــــــــــــ، مهنة الخماسة في تونس بين التشريع والواقع 1861_ 1875م، ضمن كتاب المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، تونس، منشورات بيت الحكمة، 1999.

_ الجفال: سعاد، العلاقات الليبية التونسية خلال العهد العثماني الثاني، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2006.

_ حاجي: نعيمة، أراضي العرش بين ملكية الدولة وحيازة العروش في الجزائر، مجلة الحقيقة، المجلد 17، العدد 3، جامعة أحمد دراية، الجزائر، 2018.

_ رجائي: أحمد، أوزان الألحان بلغة العروض، ط12، دمشق، دار الفكر، 1999.

_ الزاوي: الطاهر، جهاد الليبيين في ديار الهجرة، ط2، لندن، منشورات دارف المحدودة، 1985.

_ سعيد: الهادي، تطور الملكية العقارية وأثره في تونس، تونس، منشورات مركز الدراسات القانونية والقضائية بوزارة العدل، 1996.

_ سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

_ طبابي: حفيظ، عمال مناجم قفصة في العهد الاستعماري، تونس، دار تونس للكتاب، 2015.

_ عبدالوهاب: حسن حسني، مختصر تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001.

_ عباد: صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، ط1، قسنطينة، دار الألمعية، 2012.

_ فيرو: شارل، الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1983.

_ القباب: أبو العباس أحمد التونسي، شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع، تحقيق محمد البوطيبي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2022.

_ المحجوب: آمال، الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب، 1835–1911، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 2006.

_ المحروق: عطية محمد، وآخرون، المهجرون والأسرى والمنفيون الذين لم يعودوا لأرض الوطن، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 1988.

_ المهدي: صالح، الإيقاعات الموسيقية العربية، ضمن سلسلة التراث الموسيقي التونسي، ج9، تونس، وزارة الشئون الثقافية.

_ مؤلفين: مجموعة، معلمة المغرب: قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى، ج21، الرباط، مطابع سلا، 1989.

_ مؤلفين: مجموعة، موسوعة روايات الجهاد، جزء خاص بالمنفيين، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين، 1983.

_ النيفر: محمد، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، ج1، ط1ن بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996.